

منهجية في الاقتصاد الإسلامي

د. سامر مظهر قنطجني

يوجد في موقع مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية باب اسمه (البحث والتطوير R&D) وهذا الباب يهدف إلى إبراز أية تقنيات مقترحة لتطوير فقه المعاملات الإسلامية وفيه أيضا تجارب جامعات عربية عريقة في مجال الاقتصاد الإسلامية بحثا وتحليلا وتفصيلا. لذلك أقترح عليك أيها الأخ السائل زيارته والنهل منه ففيه خير كثير وهذا فضل من الله تعالى. واسمحوا لي أن أقول كلاماً أرجو أن يجد أذانا صاغية وأفعالا مؤيدة بإذن الله تعالى..

إن السبل المتاحة تشترك فيها أمة الأرض كلها حيث (جامعات عالمية ومراكز بحوث) إسلامية وغير إسلامية تدرس منذ سنوات وبمنهجية كبيرة علوم الاقتصاد الإسلامي. فمثلا جامعة هارفرد عقدت بداية هذا العام مؤتمرها الثامن للتمويل الإسلامي وكذا تفعل جامعات أوروبية واسترالية وغيرها كثير. فالعالم يهتم بموضوعية بما حوله بغض النظر عن الدين مع أن الظاهر غير ذلك، لأنهم يبحثون عن حلول لأممهم تنقذهم من سبل سيئة ينتهجونها ويعيشونها ويعلمون صدق اليقين أنها غير نافعة البتة. أما وطننا العربي الذي ذكرته يا أخي السائل فبكل أسف قلة ممن فيه يفعلون ما ذكرته آنفا. إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق مصدوق قد بشرنا بأن هذا الدين سيعود غريبا لذلك أكثر العرب ينتظرون الجامعات العالمية كي تثبت نجاعة الاقتصاد الإسلامي وأسسها ليتبنوه. فتجد من ينطق بأعلى صوته قائلاً ليس لدينا مشروع اقتصادي متكامل، فهلاً انتظر هؤلاء الإمعات

أسيادهم من الغربيين حتى يقولون قولتهم فلا يتسرعون القول... ومن المؤسف جدا أن نسمع الدكتور وهو داعية في الاقتصاد الإسلامي وله باع طويل جدا في الهيئات الشرعية يقول على قناة CNBC المعربة بأن الاقتصاد الإسلامي لم ينضج بعد! يا أسفاه على هذا الادعاء، إذا كان هؤلاء ليس لديهم مشروعاً متكاملًا فلم يتصدرون الفضائيات ليقولون ما يحبط هذه الأمة ألا يجب أن يتركوا الأمر لأهل الاختصاص من الاقتصاديين؟ حبذا لو حصرنا أنفسهم في فقه العبادات ليكفونا مؤنة الإجابة عليهم ولندعم مسيرة الجامعات الغربية في بحثها الموضوعي والمنهجي.

يا مسلمون هل تنتظرون أن تكتمل القواعد والأسس الاقتصادية وأن تنضج دون أن تدلوا بدلوكم؟ أهكذا علمنا رب العزة الذي قال لنا مرارا وتكرارا أفلا ينظرون.. أفلا يعقلون.. أفلا يتدبرون.. أم أننا أصبحنا كالحمار يحمل أسفاره على ظهره ولا يدري ماذا يحمل؟ وماذا عنده؟ ألم يقل الله تعالى في كتابه العزيز {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} الجمعة 5.

يا أخوتي في الله لقد أتعب أبو بكر رضي الله عنه من جاء بعده، فقد سد ثغراً بقدمه في الغار التي اختبأ فيها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ظناً منه بأن هذه الثغرة قد يأتي منها ما يضر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حامل اللواء عليه صلى الله عليه وسلم، وقد أفلح رضي الله عنه بفعلته.

فإذا كانت الثغور كثيرة، ومن الأدوات المتاحة قدم أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه فأبي عذر تبحثون عنه أمام الله تعالى، أوليس الله سائلنا عن علمنا فيما عملنا به؟ فماذا حضرتتم أيها الأخوة لهذا السؤال؟ ألم يتعوذ صلى الله عليه وسلم من العجز؟ أليس يعني ذلك أن لا مستحيل البتة؟ لكننا تكاسلنا وتقاعسنا فأين لنا بالمفترج؟